

قراءة أنثروبولوجية سيميائية لطبوع موسيقية من بشار

محمد تحريشي*

I. الأنثروبولوجية الموسيقية

● الأنثروبولوجية الموسيقية فرع من الأنثروبولوجية الاجتماعية و الثقافية التي تعنى بدراسة الظواهر الثقافية لمختلف التجمعات البشرية فتهتم بالبنيات العائلية و مؤسسات المجتمع و معتقداته... الخ

● تعنى الأنثروبولوجية الموسيقية بدراسة الموسيقى و الموسيقيين و الآلات الموسيقية، فهي تجمع بين الأنثروبولوجية و الموسيقى، و تقتضي معرفة عميقة بالموسيقى لاستكشافها من الداخل و ربطها بالمعطيات الاجتماعية و الثقافية.

● تعد الطبوع الموسيقية ببشار ممارسة اجتماعية و طريقة في العيش و في التعبير للفرد داخل الجماعة: الفرقة الزبانية، أشواق، الفردة، القناوي، الحيدوس، الماية... الخ

● إن هذه الطبوع متعددة و متنوعة من إنشاد دون موسيقى إلى توظيف لآلات موسيقية طبلية و وترية و كهربائية أو مع مكبر صوت.

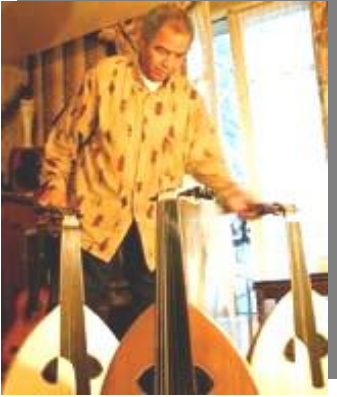
الموسيقى قدرة على التعبير عن الواقع المعيش و هي تجربة في الحياة قد تكون المعاناة عنوانا لها و إمتاع النفس هدفا لها

دقات قلب المرء قائمة له إن الحياة دقائق و ثواني

* جامعة بشار.

II. علا : موسيقى من الأعماق

1. نبذة عن حياته و عن أعماله



عبد العزيز عبد الله المدعو علا علي عادة أهل بشار في تصغير اسم عبد الله إلى علا علي سبيل الدلع و الاهتمام، ولد في 15 جوان 1946 ببشار الجديد (بيداندو) bidon 2 من أب تاغييتي و من أم فيلالية و ينتمي إلى عائلة من 12 طفل، غادر مقاعد الدراسة في سن الخامسة عشر ليتمتهن بعض المهن الصغيرة.

كانت بدايته مع بعض السهرات الخاصة في بيوت بشارية، و كانت عناصر: المفاجأة و النوعية و التميز هي ما شدّ الناس إلى موسيقى علا التي نهلت من البساطة في الأداء و العمق في التعبير

2. الخصائص الفنية

1. الإيقاع الخاص: البساطة، عزف منفرد، مع ضابط إيقاع، عزف جماعي
2. التجاوز، التناغم، الوتر و الدف
3. الارتجال و التنويع
4. التحول داخل الثابت
5. المعاناة و الألم

Alla est un musicien particulier, il a un jeu particulier: une sorte de synthèse entre le jeu Oriental et le jeu africain, il ne craints pas l'innovation et de mettre a nu les désirs et les drames, il sait écouter le silence.

Son inspiration: « tout ce qui me fait mal ressort ». « je cherche a exprimer ce que je ressens, et je n'y arrive jamais »

Sa musique est une « manière de vivre en société » sorte de dialogues et discours

3. أعماله

مجموعة من الأشرطة السمعية k7 لسهرات أحيائها الفنان في حفلات خاصة (300 شريط)

فندو بشار 1992 foundou de Béchar, 1992 Disque Alsur/concord

تاغيت 1994 Taghit, 1994 Disque Alsur/concord

تاناكول 1996 Tanakoul, 1996 Disque Alsur/concord

زهراء 2002 Zahra, 2002 Lyndaris /Night&day

وحدة بين الذات و الموضوع => توحد بين الفنان و المكان (أغلب المعزوفات بأسماء أماكن بشارية)

أ- عزف منفرد داخل أداء جماعي: تناوب في الحضور و الغياب للملء الفراغ

ب- تحديث الموسيقى عبر حرية في الإلهام و الارتجال انطلاقا من التراثي للوصول إلى المعاصر

ج- تجاوز العادي و المألوف لإدراك المدهش و العجيب، تحول داخل الثابت (المتغير و الثابت)

د- استثمار الشحنات الضاغطة على النفس و تحويلها إلى إيقاعات للشعور بالارتياح

و- علاقة الفرد بالجماعة: طريقة في الحياة و طريقة في التعبير

4. قراءة في أسماء المعزوفات

استعارة بعض أسماء أحياء بشار و المنطقة => الارتباط بالمكان.

1- Taghit : improvisation3, impro4, lefoundou2, impro5, rythme1, ksar

2-Tanakoul : bidon, debdaba, tanakoul, le bled, espérance, gratitude, l'amicie, Volonté, complainte.

3- Zahra : impro luth, toba, ouakda, l'oued, el kanadissa, guir, timmi, el gasmia Tahra, impro

- اكتشاف موسيقى علا: العود و علب الكبريت و أشياء أخرى

أ - موسيقى علا و المدمنون > مقال بصحيفة > نفي من بشار

ب- 1972 عقد العزم و النية و مكاشفة الجمهور

ج- 1992 دعوة من اليونسكو، الاستقرار بباريس

د- 2001 الاستمرارية

الحنين، تحيين الذاكرة الجماعية عبر أسماء الأمكنة و الأشخاص

5. علا مدرسة موسيقية

- موسيقى علا: موسيقى تصويرية، جنريك لأكثر من حصة إذاعية و تلفزيونية.

- وفاتحة البداية عند فرقة القعدة، موسيقى لكل الأجيال، و لكل أفراد العائلة.

- الاقتراض الموسيقي من موسيقى علا > علا الصغير على سبيل المثال.

- موسيقى علا؛ فضاء صحراوي للمعاش و اليومي
تصريح بشير منير لبعض الصحافيين الجزائريين: “ و لكن يوجد عندكم عواد متميز، علا، حيث يتجاوز أدائه هياكل الموسيقى العربية“

6. علا و المزج الموسيقي

و بعد أن نضجت تجربة العزف المنفرد أكثر، سعى إلى تجربة أخرى تقوم على المزج بين عدة تجارب، و كان: زهراء و بمشاركة عازف الهرمونيكا و القيطار، لينتج تحفة أخرى تضاف إلى الرصيد الإنساني صقلت موهبة الرجل أكثر، هذا العصامي الذي يتعامل مع الموسيقي لا من موقع العالم بل من موقع العارف و المرهف الحس. قال جاك هيجلان:

Alla m'a mis a nu. Pour la première fois j'avais uniquement soufflé dans mon instrument sans faire de notes. Je croyais souffler le vent, sur lequel les arabesques de l'oud d'alla venaient se reposer.

III. الفردة



اسم فرقة موسيقية من القنادة استطاعت أن تتجاوز الحدود لتمثل الجزائر في المحافل الدولية.

تجلي الصوفي و الروحي

تنشد السلام و الراحة النفسية

تعتمد على التناسب و التناغم

تحتفل بالنص و تصبح الموسيقي و الميولوديا وعاء لهذا النص الشعري

1. الآلات الموسيقية الموظفة

- الفردة: وظفت في أول الأمر لضبط الإيقاع (الميزان) بالضرب بها على قصعة مقلوبة

- الهجهوج: آلة وترية من ثلاثة أوتار إلى أربعة

- لآلات الطبلية: دربوكة، طار، تعيريجة، آقال، المهراس

- العود و الكمان Pilon en Cuivre

- 1991 الماندول و البانجو

- العافية الباقية: شعار الزاوية الزبانية:

تعطي هذه الموسيقى مجالاً أفسح للكلمة، و لهذا فهي قصائد مغناة تحافظ على التوازن النفسي للمغني و للفرقة و للمتلقي.

أما مجالها فهو الإغاثة و التوسل، و المعاني الإسلامية الكبرى، و الغزل بنوعيه.

أول ما ظهرت هذه الفرقة 1920 و 1940، و كانت تقدم كل ليلة سبع قصائد لسبع ليال، قصيدة لكل شيخ من شيوخها

و استمرت في التجدد حتى الثمانينات ثم اختفت لتبعث من جديد سنة 1991 بمجموعة من الشباب أملاً في إحياء تراث

بالمحافظة على الثابت و تجديد المتحول لتحيين الذاكرة، و إنتاج خطاب موسيقي أصيل

- يا كريم الكرماء لسيدي قدور العالمي (رجل قضاء و شاعر). هي أول ما يبدأ به. قصتها؟ الزرب: يا البصير.

ثلاثة مستويات موسيقية:

أ. بطي بحسب نبضات القلب=> نص سيدي قدور

ب. سريع للوصول إلى التلقي التام (الجدبة- transe) => يا البصير بعين اللطف...

ج. ثقيل حيث تسكت الآلات الموسيقية و يفتح المجال للتصفيق بطريقة خاصة بمرافقة الطار و ترديد اللازمة:

يا كريم الكرماء للوصول إلى الإحساس بالامتلاء، ثم يتوقف الإنشاد و يبقى التصفيق و الطار و هذا ما يسمى عند الفرقة بـ "القَبَاحي"

تقدم الفرقة نفسها في شكل هاللي أو نصف دائري

الآلات الطبلية على اليمين، الآلات الوترية في الصدر، المهجوج
و الكمان على الشمال

- يقدم المغني في أغلب الأحيان استخبارا يهيئ به المتلقين.

- يبدأ بالإغائة ثم يتحول إلى مدح الرسول (ص) و يختم بالغزل .

- الفردة و الزاوية الزبانية => تخصصها في هذا النوع من الموسيقى
الأصيل.

- الفردة و مواسم الأفراح و الاحتفالات و المهرجانات

2. نشاطات الفرقة و مشاركتها

للفرقة العديد من المشاركات في داخل الجزائر و خارجها؛ حيث أحييت
مجموعة من الحفلات و شاركت في العديد من المهرجانات الدولية:
غدامس لبيبيا 2001، باريس تور 2003، و مثلت الجزائر في اسابيعها
الثقافية في: مدريد، الرباط، و مثلت الموسيقى العربية في كندا.

- ذوبان الفرد داخل الجماعة، و توحيد الجماعة في الأداء المنفرد
للمغني => الفرقة => صفاء صوت المغني

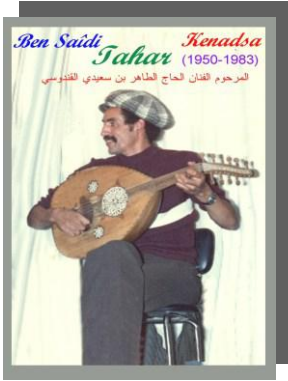
أ. قوة الصوت و صفائه => وضوح الكلمة => إبراز قوة الكلمة و تحميلها
دلالات عبر التنوع الصوتي.

ب. التعدد و التنوع في الأصوات و الآلات الموسيقية => التناغم
و الانسجام

ج. ابتداء باستخبار ثم إيقاع متوافق مع نبضات القلب => إيقاع راقص
(الجدبة transe) => إيقاع قباحي

د. قعدة احتفالية => تفاعل الجمهور => الشعور بالمتعة و الامتلاء.

و. علاقة الفرد بالجماعة: طريقة في الحياة و طريقة في التعبير



IV. المرحوم الطاهر بن سعدي

1. موسيقى الظاهرة الاجتماعية

● بدايته ثنائية مع بوحزمة على شاكلة
” قشبال و زروال“

● تقوم موسيقاه على الجمع بين
المتناقضات لإدخال المتعة لدى المتلقي،
و تطهيره، و لفت انتباهه.

● الطاهر بن سعدي أستاذ التربية
الفنية في متوسطة.

● أغنية الخدمة الوطنية = بداية الانتشار.

● أغنية المعلم في فنوغيل.

● أغنية البيروقراطية = الكواغظ هبلوني.

● أغنية سبيطار (مستشفى) بشار = وضعية الصحة العمومية .

● أغنية الدوشوفو 2 chevaux = مشكلات النقل و أمن الطرقات.

● أغنية طابا و الدخان (التبغ و الدخان). المضار و العيوب.

● أغنية سولت نفسي في نفسي = التوجه الصوفي = الحياة و الآخرة .

2. الآلات الموسيقية و الإيقاع و أشياء أخرى

● قد يبدأ باستخبار موال شعري او استخبار بآلة موسيقية = تحضير
و استعداد و تهيئة

● العود و هو الآلة المركزية مع الدربوكة،

● و عندما أنشأ فرقته أضاف الكمان و القيتار الكهربائي.

● يوظف الإيقاع الراقص غير البطيء .

- الموسيقى ترافق الكلمات إلى درجة أننا لو حذفنا الكلمات لشعرنا بوجودها.
- الموسيقى عنده حاملة لرسالة تربية و أخلاقية و اجتماعية.
- كاتب كلمات ، ملحن ، موزع ، و مغني .
- و قبل ان يختطفه الموت غنى قصيدة
- سيدي محمد بلكبير شيخ أولياء أدرار
- سولت نفسي
- و زار البقاع المقدسة
- و في سنة 1983 تعرض لحادث سير و هو عائد من أدرار بعد أن شارك في عيد الطماطم.

V. مظاهر الاحتفالية في الديوان –

مقاربة سيميائية

1. الاحتفالية و الديوان

- * الاحتفالية شكل من أشكال النشاط الفكري و الإنساني
- الهدف منها: الفرجة و المتعة و إرضاء الذات

الديوان: طقس احتفالي له جذور انثروبولوجية، مرتكزات اجتماعية و نفسية

مجلس تمارس فيه طقوس احتفالية
يتكون المجلس من المعلم و المقدم و القناديز

* مظاهر الاحتفالية في الديوان:

1. التجاوز
 2. التناغم
 3. المفارقة: اللباس الأبيض+ اللون الأسمر
عنف الطبل دقات القرقاش- ليونة الخطاب
 4. الخضوع و الانصياع و التماسك الروحي .
 5. الحدث و الطبائع الغريزية.
- أ - غريزة التماوت: شل الحركة مع التصلب مدفوعا بالرغبة في النجاة
ب- غريزة الخوف، الهرب قصد التخلص = هجوم لإثبات الذات
ج- غريزة الخضوع: سلطة الشيخ- طلب الإذن بإلقاء التحية.
- التخلص من القهر و الإلغاء.
- الوحدة بين الذات و الموضوع => لا تمييز بين المبدع و العمل المبدع
أ- سلوك فردي يتخذ صبغة السلوك الجماعي أثناء الأداء
ب- كل عضو يقدم عرضا منفردا => تحقيق الذات داخل الجماعة
ج- التحرر من العادي، بحثا عن المدهش و العجيب
د- التخلص من الشحنات الزائدة و من الضغوطات للشعور بالارتياح .

2. الدلالات الجمالية للعرض

1. دلالة الجسد

- أ- الجسد وسيلة تعبيرية => التماسك و الشدة و الإتقان.
- ب- في مقابل اللباس المهفّف: عباءة، قميص، جلباب.
- ج- الشدة في مقابل اللين
- د- انفعالات الراقص و مظهره الجسدية

2. التعبير بالجسد

- أ- ارتفاع نبضات القلب و تسارعها
- ب- بريق في العينين و اتساعهما
- ج- اندفاع الدم نحو الرأس => احمرار الوجه
- د- التوتثر و الإنفعال: تجلي الطاقة الزائدة و الرغبة في استنفادها

3. دلالة اللون

- استثمار عدة ألوان لإنجاح العرض و إحداث الأثر المناسب و سنقف عند أربعة منها:

1. دلالة الأسود

- تقاطع الأسود و الأبيض => الانسجام
- اللون الأسود: الكتمان، السرية التوقع
- في اللباس: استعداد للحرب أو الخروج للصيد (ترقو سرقو)
- تعويض عن واقع القهر و الحرمان و الإلقاء و الإقصاء

2. دلالة الأحمر

- و هو لون يوظف في بعض الأبراج: بابا حمو
- لون مثير قد يعبر عن الغضب و عدم الخوف و الخجل
- لون الجرأة و الإثارة، يرتبط بتجارب الإنسان المريرة (القتل)
- لون الدم => الخطر و الممنوع

3. دلالة الأبيض

- معادل موضوعي للأسود
- في اللباس: برج سيد علي - العطر و السيف => الانتصار، الفرح، الفوز السلام

4. دلالة الأخضر

- في اللباس مع أبراج "لعفوف، البحري موسى، الشهادة"
- علاقته بالأولياء الصالحين
- لون الهدوء و الخضوع و الاعتراف بسلطة الآخر الروحية و الغيبية
- الانكسار => اللجوء إلى الروحيات و الغيبيات
- العرض بين الفرقة و الجمهور
- أ-الكيفية التي يؤدي بها العرض
- ب- الإنجذاب و المشاركة في العرض: الدندنة -هز الرأس-التصفيق- المشاركة الفعلية
- ج- البهجة => الانخراط => عدم السيطرة على الذات=>أداء الرقصة بطريقة لا واعية
- د- الشعور بالمتعة و اللذة عند اعضاء الفرقة و عند المتفرج

3. دلالة الوحدة النغمية :

- النغم و الكلمة => النغم بجرس قوي محافظ على أصله الإفريقي
- النقر على آلة القرقاش=> آلة بدائية سهلة الصنع => رائحة الحدادين
- الضرب على الطبل أو القنبري بالتناوب
- الآلات امتداد للعازف=> جذور إفريقية
- دور الكلمة جمالي لإثراء العرض
- وسائل تعبيرية لنقل المعاني الروحية بتوظيف الحركة
- تلقي المتفرج:
- أ- يستمتع بما يعرض أمامه من أفعال و حركات
- ب- سماع ما يقال أو ينشد أو يغنى

ج- سماع ما يحدث من أصوات و كلمات تنبعث من على المنصة
د- فهم المقصود من الحركات و الكلمات لتكتمل الصورة لديه
و يكون ذلك ب-:

أ- التركيز على الوحدة النغمية : الكلمات منسجمة مع الإيقاع
ب- التناوب بين المد و الوقف عند التغني بهذه الوحدات

5. الأبعاد الاجتماعية و النفسية

1. الاجتماعية: تتمحور حول الميكانيزمات التي تحكم العلاقات الإنسانية
عن طريق:

أ. علاقات قهرية بين مالك لوسائل الإنتاج و مستعملها
ب. تجسد المعاناة اليومية للفئة الاجتماعية المحرومة
2. النفسية: و هي ما يتعلق ب :

أ. الدوافع الداخلية للممارس و انفعالاته
ب. يأتي الصوت قويا أو ضعيفا ليعبر عن الواقع المعيش
ج. صرخات المنشد : تأكيد الذات